

الدراسات التراثية

(المدينة العربية والعمران الحضري)

د. أحمد الأصفر

د. أمل حمدي دكاك

قسم علم الاجتماع

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

مصطفى جليل إبراهيم الزبيدي،
التغير في البنية الحضرية للمدينة العربية الإسلامية، مدينة بغداد نموذجا، معهد
التخطيط الحضري والإقليمي للدراسات العليا، جامعة بغداد.

- مشكلة البحث:
ماهي التغيرات التي حدثت في البنية الحضرية للمدينة العربية الإسلامية،
وكيف يمكن تحديدها.
- هدف البحث:
توضيح كيفية تأثير التغيرات على البيئة الحضرية للمدينة العربية الإسلامية.

مصطفى جليل إبراهيم الزبيدي،
التغير في البنية الحضرية للمدينة العربية الإسلامية، مدينة بغداد نموذجا، معهد
التخطيط الحضري والإقليمي للدراسات العليا، جامعة بغداد.

- **فرضية البحث:**

إن مخرجات المتغيرات العالمية بجميع أبعادها الفكرية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية ستؤثر في البيئة الحضرية للمدينة، لأن تلك المخرجات تمثل العناصر المكونة للمدينة من جهة، ومن جهة أخرى تمثل البيئة الحضرية الحيز المكاني الذي تتفاعل فيه تلك العناصر.

- **منهجية البحث:**

تعتمد الدراسة المنهجية التحليلية الاستقرائية من خلال تحليل أهم الأسس التخطيطية المكونة للمدينة العربية الإسلامية، ثم تحليل تأثيرات الأنماط العالمية في البنية الحضرية المكونة لها، وصولا إلى أهم السبل لمعالجة تلك التأثيرات وتحقيقا للتواصل الحضاري للمدينة العربية الإسلامية المعاصرة.

مصطفى جليل إبراهيم الزبيدي،
التغير في البنية الحضرية للمدينة العربية الإسلامية، مدينة بغداد نموذجاً، معهد
التخطيط الحضري والإقليمي للدراسات العليا، جامعة بغداد.

أولاً. الأسس التخطيطية للمدينة العربية الإسلامية

- **التراتب الهرمي.** يتمثل هذا المبدأ في تنظيم الفضاءات في تدرج هرمي واضح من العام إلى الخاص يتجسد في جميع مستويات التكوين الحضري مبتدءاً بالمدينة ككل، ومروراً بالنسيج التقليدي للمحلات السكنية ثم مجاميع الوحدات السكنية ويشمل تنظيم الفضاءات ضمن الوحدة السكنية حول الفناء الوسطي المفتوح، ويرافق ذلك تدرج مستويات محاور الحركة في المدينة الذي يضمن ملاءمة كل جزء من نظام الحركة مع خصائص وشخصية الفضاء الذي يخدمه، حيث إن التدرج الوظيفي لمسارات الحركة يمثل الأساس الذي يستند عليه النمط للهيئة الحضرية.

مصطفى جليل إبراهيم الزبيدي،
التغير في البنية الحضرية للمدينة العربية الإسلامية، مدينة بغداد نموذجا، معهد
التخطيط الحضري والإقليمي للدراسات العليا، جامعة بغداد.

أولاً. الأسس التخطيطية للمدينة العربية الإسلامية

- **التنوع** : نجد التنوع عند الوحدة العامة وضمنها، فالفضاء يضيق تارة ويتسع تارة أخرى، ويمتد مستقيماً وينحني ، وهناك محطات توقف واحتواء وانتقال من فضاء إلى آخر ، وكل هذا ضمن إيقاع طبيعي تلقائي يرتبط بطبيعة الحركة في الفضاء ، ففي الأزقة تكون الحركة حرة ، وانعكس هذا على تصميم الواجهات للأبنية على جانبي الزقاق ، إذ أن المعالجات التخطيطية حرة في تكوين الواجهة وهذا يظهر لنا التنوع اللانهائي في التكوينات المصغرة التي تكون الزقاق ككل ، فهي ليست (نحتية) ينظر إليها من الأمام لأنها مشيدة في دهايز مستمرة ، ويتعرض المار في هذه الأزقة إلى تنوع في كل خطوة يخطوها ، بل حتى عندما ينظر المرء إلى الأمام أو إلى الوراء أو إلى الأعلى.

مصطفى جليل إبراهيم الزبيدي،
التغير في البنية الحضرية للمدينة العربية الإسلامية، مدينة بغداد نموذجا، معهد
التخطيط الحضري والإقليمي للدراسات العليا، جامعة بغداد.

أولاً. الأسس التخطيطية للمدينة العربية الإسلامية

- **المقياس الإنساني:** إن المدينة بمختلف أنماطها وطرزها كانت و لا تزال تعكس استجابة مادية لمتطلبات الإنسان، وتقف في مقدمتها العلاقة بين مقياس الحاوي والمحتوى من حيث علاقة أبعادها الأفقية والعمودية، حيث يمثل الحاوي في هذا الحال الفضاءات الحضرية ، بينما الإنسان بأبعاده العمرانية وأحاسيسه الإنسانية المحتوى لهذه الفضاءات، وقد ادى المقياس الإنساني لفضاءات المدينة العربية الإسلامية التقليدية دورا مهما في تحديد طبيعة إحساس المتلقي بكيفية انسجام وتناسق العناصر التخطيطية وقدرته على إدراكها وفهمها، وتؤكد المدينة التقليدية على المقاييس الإنسانية لوحدات البنائية وشارع المدينة حتى لا يحدث الانفصال بين الساكن ومدينته.

مصطفى جليل إبراهيم الزبيدي،
التغير في البنية الحضرية للمدينة العربية الإسلامية، مدينة بغداد نموذجا، معهد
التخطيط الحضري والإقليمي للدراسات العليا، جامعة بغداد.

أولاً. الأسس التخطيطية للمدينة العربية الإسلامية

- **التضام:** وهو أحد أهم المفاهيم التي أثرت في بناء البيئة الحضرية للمدينة العربية التقليدية في جانبها العمراني حيث استمرارية الحيز وامتداده ليشمل كل المدينة وكأنها فضاء واحد متصل، كيان مترابط كجسد واحد بنظام ديناميكي حي ، والذي من الصعب تقسيمه داخليا بسبب صعوبة فصل أجزائه المترابطة عن بعضها البعض، فالشكل والوظيفة يكونان مترابطين جدليا عضويا وليس هذا مجرد حاصل جمع الأجزاء بل حاصل ترابطها وتفاعلها، حيث امتازت المدينة التقليدية في تخطيطها بمبدأ الوحدة حيث الأبنية المتراسة وبواجهة واحدة ومستمرة وبمستوى أفقي واحد وفضاءات داخلية متشابهة أعطت للمدينة صورة .

مصطفى جليل إبراهيم الزبيدي،
التغير في البنية الحضرية للمدينة العربية الإسلامية، مدينة بغداد نموذجاً، معهد
التخطيط الحضري والإقليمي للدراسات العليا، جامعة بغداد.

ثانياً. الآثار العمرانية للنمط العالمي على المدينة العربية الإسلامية :

- أساليب البناء الحديثة التي غيرت من المعالم الحضرية من خلال ظهور أنماط حديثة من الأبنية العالية (النمط العالمي) وأشكال متباينة لا تتسجم مع المقياس الإنساني للنسيج الحضري، فاختل التوازن بين العناصر العمرانية المكونة للبنية العمرانية للمدينة، وتغير خط السماء الذي كانت تهيمن عليه المآذن والقباب، فظهر خط السماء متعرج من دون انتظام ولا استقرار، كما أثرت المواد الحديثة في تغيير معالمها، حيث ظهرت المباني ذات الواجهات الزجاجية الواسعة والخرسانة المسلحة، فأصبحت المدينة تشكيلة متنافرة من المباني وهذا نتاج التفاعل المستمر بين الصناعة والتقنيات الحديثة لهذا العصر.

مصطفى جليل إبراهيم الزبيدي،
التغير في البنية الحضرية للمدينة العربية الإسلامية، مدينة بغداد نموذجا، معهد
التخطيط الحضري والإقليمي للدراسات العليا، جامعة بغداد.

ثانياً. الآثار العمرانية للنمط العالمي على المدينة العربية الإسلامية :

- ظهور النظام الشبكي في تخطيط المدن وتكوينها كنمط عالمي، والذي جعل المركبة العامل المشترك ما بين المدن العربية المعاصرة في شكلها سواء في مساحتها أو بنيتها العمرانية، فقد صممت هذه المدن على وفق النظرة المادية مع مشاركة المركبة ومواد البناء الحديثة (الأسمنت والحديد)، مما أفقد الإنسان العلاقة الحسية ما بين الحاوي والمحتوى، فأصبحت الطرق عبارة عن وسيلة لمرور المركبات ليس إلا، مما اثر سلبا على التكوين العمراني للمدينة، والذي يتأثر بطبيعة العلاقة الوظيفية بين المناطق المختلفة، كما يتأثر بديناميكية الحركة بين هذه المناطق وداخلها، وكذلك العلاقة التي تربط المقياس المتولد عن حركة الإنسان والمقياس المتولد عن حركة السيارة.

مصطفى جليل إبراهيم الزبيدي،
التغير في البنية الحضرية للمدينة العربية الإسلامية، مدينة بغداد نموذجا، معهد
التخطيط الحضري والإقليمي للدراسات العليا، جامعة بغداد.

ثانياً. الآثار العمرانية للنمط العالمي على المدينة العربية الإسلامية :

- **التحضر السريع**، حيث عرفت المدينة العربية الإسلامية في العصر الحديث توسعا حضريا احدث خلا في النواحي التخطيطية ، وخاصة بعد ظهور حركة التصنيع السريع وبرامج التنمية الاقتصادية في الدول الغربية قبل الحرب العالمية الثانية، معتمدة في ذلك على ما توفره مستعمراتها في الشرق من مصادر للمواد الخام وأسواقا لمنتجاتها المختلفة التي تحمل معها مقومات الحضارة الغربية ، الأمر الذي قد قلب الموازين الحضرية والمعايير التخطيطية للمدن العربية المعاصرة، مما تركها عاجزة عن التواصل الحضاري، أو القيام بعملية ذات تطور اقتصادي واجتماعي متوازن، انعكس ذلك سلبا على الكيانات الاجتماعية للسكان ومن ثم على التكوينات الحضرية لمدنهم.

مصطفى جليل إبراهيم الزبيدي،
التغير في البنية الحضرية للمدينة العربية الإسلامية، مدينة بغداد نموذجا، معهد
التخطيط الحضري والإقليمي للدراسات العليا، جامعة بغداد.

ثانياً. الآثار العمرانية للنمط العالمي على المدينة العربية الإسلامية :

- **ضعف الترابط العضوي** بين مكونات المدينة، حيث فقدت مدننا العربية الحديثة التوافق والترابط العضوي بين اجزائها المختلفة، وهذا ما فقده الإنسان فيها من غريزة الترابط التي بدأت تتضاءل في حياتنا المعاصرة، وهكذا غاب عن المدينة العربية المعاصرة الانسجام والتكامل بين الذاتية الفردية للعنصر الواحد والتشكل العمراني للمدينة ككل، فاختل التوازن بين المسؤولية الفردية والحرية الإيجابية للفرد في الإبداع والتنمية الذاتية أو الجماعية، ومهما وصلت المحاولات الذاتية إلى الرقي الحضاري أو الجماليات المطلقة فهي لا تتعدى كونها محاولات فردية لا تعبر عن كيان المجتمع أو تشكل مدينة عربية معاصرة، مع دخول المركبة والتي عملت على تفكيك البنية الحضرية للمدينة.

مصطفى جليل إبراهيم الزبيدي،
التغير في البنية الحضرية للمدينة العربية الإسلامية، مدينة بغداد نموذجاً، معهد
التخطيط الحضري والإقليمي للدراسات العليا، جامعة بغداد.

ثانياً. الآثار العمرانية للنمط العالمي على المدينة العربية الإسلامية :

- ظهور التقسيمات الوظيفية لمكونات المدينة. إن وجود العامل السلبي الآخر وهو الفصل بين الفعاليات الحضرية وانتشارها على شكل قطاعات مختلفة في المدينة التي تفككت إلى وحدات مبعثرة كالسكن والعمل والتعليم والترفيه... الخ، من دون تداخل وتكامل ما بين هذه الفعاليات، الأمر الذي أدى إلى الهدر الاقتصادي في استعمالات الأرض والفضاءات الحضرية وفقدان الإحساس بالانتماء، وبالتالي أصبحت المدينة تتكون من حواجز منفصلة، ومشتتة تتضارب فيها تيارات عديدة لمختلف النشاطات بدون الوضوح والتحديد للتوجيه الرئيسي للتكوين الفضائي.

مصطفى جليل إبراهيم الزبيدي،
التغير في البنية الحضرية للمدينة العربية الإسلامية، مدينة بغداد نموذجا، معهد
التخطيط الحضري والإقليمي للدراسات العليا، جامعة بغداد.

ثالثا: التغير في البنية الحضرية للمدينة العربية الإسلامية (مدينة
بغداد)

تتطابق مدينة بغداد مع المؤشرات الإسلامية في هذه المرحلة، من حيث مراعاتها
للمؤثرات البيئية، واشتراك العوامل السياسية والاقتصادية والدينية والاجتماعية في
تكونها ونموها، ومحافظةها على عناصرها الأساسية وعدم وجود عناصر غريبة
في بنيتها الحضرية، ومراعاتها لخصائص الموقع ، وتطابق أسسها التخطيطية مع
المؤشرات للمدينة الإسلامية.

بغداد

١٩٢٠ - ١٩٠٠

مصطفى جليل إبراهيم الزبيدي،
التغير في البنية الحضرية للمدينة العربية الإسلامية، مدينة بغداد نموذجا، معهد
التخطيط الحضري والإقليمي للدراسات العليا، جامعة بغداد.

ثالثا: التغير في البنية الحضرية للمدينة العربية الإسلامية (مدينة بغداد)

بغداد	في هذه الفترة شهدت مدينة بغداد التغير في بنيتها الحضرية، وظهور الأنماط والعناصر المطورة (الغربية)، وتهجين العناصر التقليدية (كالبيت البغدادي)، مع عدم مراعاتها في نموها وتغيرها للمؤثرات البيئية أو خصائص الموقع، عدم التطابق مع الأسس التخطيطية، وخصوصا في المناطق التي شيدت حديثا، واقتصار تأثير العاملين السياسي والاقتصادي على المدينة، وظهور الأنماط العالمية في بنيتها الحضرية بسبب التأثير بحركة الحداثة، وخصوصا في مركز المدينة، حيث ظهرت الأبنية العالية المتعددة الطوابق.
١٩٦٠ – ١٩٢١	

مصطفى جليل إبراهيم الزبيدي،
التغير في البنية الحضرية للمدينة العربية الإسلامية، مدينة بغداد نموذجا، معهد
التخطيط الحضري والإقليمي للدراسات العليا، جامعة بغداد.

ثالثا: التغير في البنية الحضرية للمدينة العربية الإسلامية (مدينة بغداد)

في هذه المرحلة فقدت مدينة بغداد هويتها العربية الإسلامية، وأصبحت عبارة عن
بنية حضرية ذات طابع غربي بحت، وظهرت المشاريع الحديثة فيها على حساب
النسيج التقليدي (كمشروع شارع حيفا)، وتصميم المناطق الحديثة على أساس النمط
الشبكي من جهة، وتهرؤ وتغير الاستعمال في المناطق التقليدية، وابتعادها الكلي
عن الأسس التخطيطية للمدينة العربية الإسلامية، وابتعاد العاملين الديني
والاجتماعي عن التأثير في نموها واقتصار التأثير على العاملين السياسي
والاقتصادي، وعدم مراعاتها للمؤثرات البيئية أو خصائص الموقع.

بغداد ما بعد

١٩٦٠

مصطفى جليل إبراهيم الزبيدي،
التغير في البنية الحضرية للمدينة العربية الإسلامية، مدينة بغداد نموذجا، معهد
التخطيط الحضري والإقليمي للدراسات العليا، جامعة بغداد.

رابعاً. الاستنتاجات الرئيسية.

- تتميز البنية الحضرية للمدينة العربية الإسلامية، بوجود خصائص فريدة يتميز الهيكل الحضري وتكويناته الفضائية وعناصره العمرانية لها، والذي جاء نتيجة تفاعل الإنسان مع عوامل بيئته الثقافية والطبيعية. وقد تعرضت هذه البنية إلى الضغط باتجاه التغير، والذي حدث على شكل قفزات سريعة بحيث لم تكن فرصة التغير كافية لتطوير الأفكار المحلية، بشكل يجعلها تستوعب تلك الضغوط بأسلوب يتفاعل مع النمط الحساس والدقيق للتكوين الحضري للمدينة العربية الإسلامية، فاقتباس المفاهيم التخطيطية الغربية ودخول النمط العالمي كعناصر فيزيائية مكونة للمدينة أدى فقدان الهوية المميزة لها وشوهدت معالمها ومزقت كيائها.

مصطفى جليل إبراهيم الزبيدي،
التغير في البنية الحضرية للمدينة العربية الإسلامية، مدينة بغداد نموذجا، معهد
التخطيط الحضري والإقليمي للدراسات العليا، جامعة بغداد.

رابعاً. الاستنتاجات الرئيسية.

- أن المدينة هي نتاج تفاعل القيم الفكرية والمعنوية من جهة، والمادية العمرانية من جهة أخرى، فتكون بالتالي بنيتها العمرانية تعبيراً حياً وصادقاً عن القيم الفكرية السابقة والحضارية للمجتمع، أي أن شكل المدينة يعبر عن هوية أي مجتمع وشعب وأمة ما، لأن مفهوم الهوية في المدينة بشكل خاص يتركز على مبدأ نظري مفاده، إن العناصر والأشكال والمفردات تعكس نمط حياة الشعب أو المجتمع الذي ينتجها، والذي يتضمن العادات والتقاليد وأساليب التفكير والمعتقدات الدينية والمبادئ الأخلاقية والقيم الاجتماعية، وغير ذلك مما يقع ضمن مفهوم الثقافة أو الحضارة .

مصطفى جليل إبراهيم الزبيدي،
التغير في البنية الحضرية للمدينة العربية الإسلامية، مدينة بغداد نموذجا، معهد
التخطيط الحضري والإقليمي للدراسات العليا، جامعة بغداد.

رابعاً. الاستنتاجات الرئيسية.

- لا تزال الحركة التعليمية في الجامعات العربية (ومن بينها جامعة بغداد)، تبحث عن النظرية التي يمكن من خلالها التعامل مع الواقع المحلي فكراً ومنهجاً تحمل صفة الاستمرارية والاستقرار، لتحقيق المحافظة، حيث إن المسلمين ملتزمون بالشريعة التي هي مصدر الثوابت في تخطيط المدينة و تصميم العمارة، فانهم لا يحتاجون إلى التغيرات الجذرية السريعة المفاجئة، ومادام المخطط يخضع تخطيطاته و تصاميمه لمتطلبات الشريعة الإسلامية فهو لا يزال في استمرارية، والتغير والانفصال الذي حصل في الشكل الخارجي نتيجة استخدام مواد بناء وتقنيات جديدة وأشكال تابعة لها ونظريات غربية في تخطيط المدن.

مصطفى جليل إبراهيم الزبيدي،
التغير في البنية الحضرية للمدينة العربية الإسلامية، مدينة بغداد نموذجا، معهد
التخطيط الحضري والإقليمي للدراسات العليا، جامعة بغداد.

خامساً. توصيات الدراسة.

- إحياء الاتجاهات التخطيطية والمعمارية المختلفة، والتي تحمل منها فكريا إسلاميا معاصرا، يتفاعل مع العناصر التراثية من جهة، ومع عناصر العمارة العالمية من جهة أخرى، و بما يحقق الهوية للمدينة العربية الإسلامية.
- دراسة المؤشرات الإسلامية بصورة مفصلة ووضعها ضمن المناهج النظرية في حقل التخطيط الحضري والعمارة، والحرص على إيضاح مفهوم المدينة العربية الإسلامية، والتركيز على كل ما يحقق هذا المفهوم من أفكار نظرية و تطبيقية.

مصطفى جليل إبراهيم الزبيدي،
التغير في البنية الحضرية للمدينة العربية الإسلامية، مدينة بغداد نموذجاً، معهد
التخطيط الحضري والإقليمي للدراسات العليا، جامعة بغداد.

خامساً. توصيات الدراسة.

- إيجاد و صياغة القوانين والتشريعات اعتماداً على المؤشرات الإسلامية، مع إعادة النظر في الهيكل العام للتشريعات والقوانين والتعليمات القائمة والمتعلقة بالمدينة وشوارعها و أبنيتها، لتكون محددات أدائية ومعايير تخطيطية وتصميمية وبنائية، وبما يحقق بيئة حضرية محلية تحمل سمة إسلامية.
- أما على مستوى التخطيط الحضري، التأكيد على اعتماد فضاءات حضرية ذات مراكز بؤرية كبيرة تحقق المقياس الإنساني، وتساهم في تكوين بيئة حضرية ذات بنية عصرية متقدمة ووفقاً للمؤشرات الإسلامية.